

والذى يفعل هذا فى شعب جبل لا يفوته أن يفعل مثله فى ثغرة مدينة ، ولكن المشاورة هنا هى المقصود بالمضاهاة بين ما سبق إليه النبي وما نبغ فيه نابليون . فهذه خصلة معهودة فى كبار القواد لا تقدح فيما عرفوا به من قدرة على وضع الخطط وابتكار الأساليب .

٦ - ولم يعرف عن قائد حديث أنه كان يعنى بالاستطلاع والاستدلال عناية نابليون .

وكانت فراسة النبي فى ذلك مضرب الأمثال ، فلما رأى أصحابه يضرّبون العبدین المستقيين من ماء بدر ، لأنها يذكران قريشا ولا يذكران أبا سفيان ، علم بفضته الصادقة أنها يقولان الحق ولا يقصدان المراء ، وسأل عن عدد القوم فلما لم يعرفا العدد سأل عن عدد الجزور التى ينحرونها كل يوم ، فعرف قوة الجيش بمعرفته مقدار الطعام الذى يحتاج إليه . وكان صلوات الله عليه إنما يعول فى استطلاع أخبار كل مكان على أهله وأقرب الناس إلى العلم بفجاجة ودروبه ، ويعقد ما يسمى اليوم « مجلس الحرب » قبل أن يبدأ بالقتال فيسمع من كل فيما هو خبير به من فنون حرب أو دلائل استطلاع .

٧ - واشتهر عن نابليون أنه كان شديد الحذر من الألسنة والأقلام ، وكان يقول إنه يخشى من أربعة أقلام ما ليس يخشاه من عشرة آلاف حسام . .

والنبي عليه السلام كان أعرف الناس بفعل الدعوة فى كسب المعارك وتغليب المقاصد ، فكان يبلغه عن بعض أفراد أنهم يخفرون الذمة التى عاهدوا عليها ويشهرون به وبالإسلام أو يثيرون العشائر لقتاله ويقذعون فى هجوه وهجر دينه ، فينفذ إليهم من يجارهم فى حصونهم أو يتكفل له بالخلاص منهم . .

* * *

وعاب هذا بعض المغرضين من الكتاب الأوربيين وشبهوه بما عيب على نابليون من اختطاف الدوق دانجان وما قيل عن محاولته أن يختطف الشاعر الانجليزى كولردج الذى كان يخوض فى ذمه ويستهوئ الأسماع بسحر حديثه . .